كلمة أصدقاء الفقيد

الدكتور رفيق جويجاتي

أيها الحفل الكريم

دعا مجمع اللغة العربية الرفيع الشأن ، وآزرته مكتبة الأسد هذه التي أصبحت تتسنم دوراً اجتماعياً وفكرياً مرموقاً في هذا الوطن الخالد ، لتأبين علَمٍ من أعلام العلم والمعرفة ، وقدوة مثلى في العملِ الصالح الصادق المثمر ، المهندس وجيه السمّان ، الذي لبّى نداء ربّه في الثامن عشر من شهر صفر ١٤١٣هـ (١٧ آب ١٩٩٢م) ، فكان يومَ حزن بالغ لأهله وأحبائه ومعارفه ، بل يوم حسرة للوطن برمته ، الوطن الذي أعطاه الفقيد الراحل ، كلّ ما ملك من عقل وجهد وإيثار ، ليؤدي قسطاً في إغناء تراثه ، ويسهم في نهضته العلمية والتقنية ، وثورته الصناعية التنمويّة ، وتطوّره الفكري اليافع .

إنما نجتمع اليوم شاكرين لمجمع اللغة العربية هذه البادرة المحمّلة بالمعاني السامية ، بعد هذا الرزء ، ليحلّ محلّ الدموع – ولم ترقأ بعد – استذكارٌ لما خلّف الفقيد من مآثر ، وإنهاضاً للهمم كي تتأسى مثاله النموذجي ، وتدبّراً للفراغ الكبير الذي أرّثه افتقادُنا قلبَه الكبير ، كيف الحيلة في ملئه .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلكم فتىً يقبل بكلّ جوارحه على تلقف العلوم والرياضايات بنهم وشغف ، يُنضج بالجهد الساهر نبوغاً مبكّراً ، يؤهّله لمتابعة الدراسات العالية في أشهر المعاهد الهندسية الفرنسيّة . وإذ يعود للوطن بعد أن يقطع مراحل الإعداد لتسنّم الخدمة العامّة ، يخرّج الفوج تلو الفوج من الطلاّب المتمكنين من العلوم ، بفضل تدريسه وتوجيهه ورعايته ، يرفِد بهم صفوف العاملين بنجاح في بناء المجتمع والدّولة العصريّة .

ثمّ ينشر ، في كلية الهندسة ، في الشهباء ، أستاذاً ومن بعد عميداً ، حبّ الهندسة ورغبة التضلع بها ، لسدّ الحاجة الماسّة للأمة الناشئة ، المفتقرة إلى أطر الخبرة في العلوم والفنون ، في الكهرباء والعمارة ، في الفيزياء بتفرعاتها ومن ثَمّ يَقْبَل مواجهة تحدّيات النهضة العمرانية ، فينشر النور بنشره الكهرباء ، بعزم جاد ناشط لا يَفتُر ، من منصبه الحسّاس ، مديراً عاماً لمؤسسة الكهرباء .

وفي هذا التدرّج من سلك التعليم إلى سلك العمل يتسنّم الآن وقد بلغ سنّ الشباب الفاعل الناضج المبدع أهمّ المناصب في ثورة التنمية العارمة ، التي بدأت تنقل سورية في مجال الصناعة والزراعة ، والنفظ وتخزين المياه ، ومشاريع الريّ الكبرى ؛ من حيّز الأمنية ، إلى واقع التحقيق . وإذ يصبح وزيراً للصناعة في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة آنذاك يتّسم عهد وزارته وإسهامِه الغنيّ ، باكتشافه النفظ واستثماره ، تصفيته وتمديد أنابيبه ، تأسيس مستودعاته وتنظيم تسويقه ، كما يتّسم بإشادة الصناعات الكبرى كالزجاج والورق والكبريت ، وتوسيع الصناعات القائمة كالمنتجات الزراعية والنسيجية والاسمنت ، والمضيّ قدماً في تأسيس الصناعات المتفرعة عن النفط .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلُّ يوم من أيام فقيدنا مملوء بجلائل الأعمال ، وعمق التأملات الروحية معاً . لتراه في مطلع الفجر متعبداً ، يتلو بخشوع وتمعّن ويقظة في الفكر والقلب والحسّ ، آيات القرآن الكريم متدبراً معانيها يحفظ منها الروائع والحكم – وكلّها ، والأحاديث الشريفة ترفدها ، حكم وروائع . ويتملأ بقدر ما يسمح الوقت الطائر ، من الآداب العربية صفوتها وخالص شهدها .

ثمّ تراه وقد تقدّم الصباح عاملاً غزير النشاط مقداماً مكافحاً ليفي بما أخذ على نفسه أن ينجز ، في جوّ من الغبطة ، والنشوة بلذة نقل الفكر المستنير من مجال النظر إلى حيّز الواقع الخيّر المعطاء، وتواؤم أدوات التنفيذ مع برامج التخطيط وخطوط التصميم .

وليكن في علمك أنّ ما نسمّيه وقت الراحة أو المتعة الاجتماعية في المساء ، مبذول جلّه في المطالعة والترجمة والتأليف : المطالعة الحثيثة غير المنقطعة لما ينشر عن أحدث ما استجدّ من مستكشفات علمية وتقنية تطبيقية في المواصلات والاليكترونيات والحواسب ، ونقل آخر منجزات الفكر الغربي في هذه المخترعات التي ثوّرت وسائل التخاطب والتواصل وميدان الأعمال على نحو من الشمول والاتساع والتسارع ممّا لم تألف الإنسانية له فيما مضى مثيلاً .

ثمّ الترجمة : أيّة إرادة قويّة ، واندفاع أصيل لا عارض ، وتوطين مطلق للنفس على الأداء كأحسن ما يكون الأداء ، مهما كان صعب المنال ، شاقّ المسار ، تكمن كلها وراء قبول تحدّي الترجمة إلى العربيّة ، لمؤلّفات صعبة ، كمؤلفات العالم الفرنسي الفذّ ، Albert Ducrocq ، مؤلفه في العناصر ، مؤلفه في المادة السيبرنية والكون ، تعبيراً عن الماكنات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التقنيّة التي زوّدها الإنسان بمتلقفات جعلتها وكأن لها جسماً وحواساً وقدرة على التنظيم والاستنتاج ، ومؤلفه عن جسم الإنسان العجيب ، وذلك على بعد الهوّة ما بين التقدم اللغوي الذي ساير تقدم العلوم والتطبيقات في الغرب والجمودِ الذي ران على العربية قروناً .

انظر إلى أعين بحاثتنا الدؤوب الصابر ، تتيه وتحمرّ ، في حمأة المعاجم العامة والمتخصصة ، والابحاث المنهجية في الطريقة ، والدراسات الرياضية والتكنولوجية العويصة ، بحثاً عن مصطلح يفي معنى المصطلح الغربي ، أو يفصح على وجه الدّقة عن واقع معادلة أو نظرية أو محاكمة . وما كلّ هذا الصبر والعناء لغرض شهرة أو نفع مادّي ، أو تباهٍ في سلّم المكانة الاجتماعية ، فقد ذهب التواضع والإيثار في سبيل المصلحة العامة بفقيدنا إلى أن كاد حتّى الخُلّصُ من صحابه ، يعدّ الإفراط فيه مأخذا ، إذ قد يكون عاملاً على ضعف التنبه إلى هذا الإنتاج الثر الزاخر ، وهو إنتاج ذو ضرورات حيوية لتعزيز أسباب النهضة ؛ وفي سبيل ذلك يهجر الرّاحة ، والخلود إلى الدّعة ، حتى في أيّام التقاعد ، التي يفترض فيها بالفارس أن يترجّل ، لينال قسطاً من راحة الجسد والتسلّي عن الهموم ممّا لم يقيّض له أن يناله وهو في غمرات النضال .

وقل مثل ذلك في تصدّي فقيدنا لأحدث المؤلفات بالانكليزية عن الطاقة لويلسون ، والحاسبات في أعمالها لكلارك ، والمجلّدين الضخمين في الميكرو – اليكترونيات – اليكترونيات الدقة لـ Mill MAN وروبرت اوبنهامر والقنبلة الذرية للعالم الفرنسي Michel Rousé ويتكلّل كل ذلك بترجمة مبادئ الفيزياء الحديثة لجيمس ريتشاردز ، مبسّطة موضحة معلّله ، بلغة عربية بيّنة، توضع منارة تستنير بها الجامعات العربية وتتمّ الترجمة بجهد مشترك يشاطر فيه الفقيد جهود أستاذنا اللاّمع ، الدكتور عبد الرزاق قدورة الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يحدثنا اليوم عن خصال الفقيد كما عرفه طالباً وزميلاً وجهود العالم الموسوعي الدكتور أحمد محمود الحصري .

أمّا في التأليف فهاهوذا يودع عصارةَ ما فقِه ونشر واستنتج واستحدث ، جزءاً منه في مؤلفه عن قصة الذرة وكانت موضوع الساعة المحاط بالطّلاسم فسلّط عليه الأنوار الكشّافة وجزءاً آخر في الصواريخ والأقمار الصنعية ، وهي حديث الساعة فينقل إلى المحسوس ما كان يظنّ في الموضوع من مغيّبات . هذا عدا عن عشرات المحاضرات والمنشورات والمقالات والكتب المدرسيّة في العلوم والاجتماعيات والآداب .

* * *

يقف البحّاثة ، كما تقف دوائر المعرفة في بلاد العربيّة مذهولة أمام هذا الجهد الجبّار ، فترشّح الفقيد لمنابرها ومجامعها ، وتكل إليه الأمم المتحدة ترجمة أكثر وثائقها صعوبة في المواصلات وتقنياتها ومؤتمراتها ومقرراتها ، وينابيه مجمع لغتنا العربية العتيد ، ليتبوأ عن جدارة ، عضويته ، فيلبّي طيعاً نداءه ، معتبراً هذه اللفتة في الحقيقة تكريماً لنزعة التحديث في اللغة العربيّة ، لغة التنزيل الكريم والثقة بإمكاناتها الواسعة وقدرتها على التلاؤم مع النهضة المعاصرة والإيمان بمستقبلها :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي له وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق ألفاظ لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

ولقد غاص الفقيد لجج هذا البحر بدأب وعناد واستخرج منه أعزّ الأصداف .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد يجنح خيال من لم يعرف الفقيد إلى التصوّر أنه أمام شخصية فكرية تؤثر العزلة والبعد عن الناس ، والانكماش في أبراجها العاجية ، ووجه الرّوعة في حقيقة الأمر أنه كان على العكس تماماً ، كان مع كل هذا النشاط ، أنيساً لجلسائه الكثر ، وفيّاً لأصحابه من الأخيار ، طلّي الحديث ، يعزّزه ببديهة رائعة وحضور ذهن فذّ ، بالشواهد الشعرية والقطع المنثورة من روائع ما قال العرب وكتب الأغراب ، لا على وجه التعميم ممّا يصلح لكلّ مناسبة ، بل على وجه إيراد الشاهد الذي يقع في موقعه الصحيح ، على ما يطرق من موضوع متخصّص ، أو ما يعرض من روح النكتة الذكية والدعابة المستملحة ، فلقد كان تضلعه بالآداب العربية والاجنبية مدعاة للتعجب ، كيف يجد الفسحة لاستيعاب هذه الناحية الجمالية من حياة الإنسان . ولن تعجب إذا وقفت على حوافز هذه الشخصية المترعة بالمحبة الإنسانية والسماحة والبشر ، تغذوها الوشائج الروحية ، ولكم قطع حديثه ليؤدي في أوقاتها صلاة المغرب أو العشاء لا بحسّ من الالتزام الديني – الروحي وحسب ، بل إفصاحاً عن هذه النظرة العميقة للحياة على أنها اتحاد يصهر الجسم والروح معاً، ويجمع سعي الدنيا إلى العمل للآخرة .

وما تأخذ بلبّك في سيرته مكرمة قدر ما تأخذ به مكرمة الإحسان لديه ، عفويّاً يأتي ، سمحاً ، غيريّا ، غيرَ مبتغ جزاء ولا شُكوراً ، حتّى إذا أتاه طالب سؤل أو ناشد قرض أو استعارة أو توصية ليخرج من لقائه متمثلاً بالشاعر الذي قال في كرم أحد الخلفاء :

يـراه ، إذا مـا جئتـه ، متهـلّلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

يا أبا عصام . فأين أين تلك السوانح من الأمسيات العزيزة تقضيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بصحبتك النخبة من المتعلمين والعلماء والمتأدبين والأدباء ، والمهندسين والأطبّاء ، فتتبادلون الشجون وأطراف الحديث الشيق ، في المجتمع والعلم واللغة ، في الحكم والعظات ، في عبر التاريخ وطرائف الفلك في الظرف وحسن اللفتة . لقد كانت نوراً بنور وجهك ، نوراً على نور بمعرفتك . وحميم صداقتك وعميق انسانيتك . مناسبات تؤرّخ وتبقى خالدة في الذاكرة ، مضيئة بكرم خلُقك وحسن وفادتك وعطفك وحدبك . وإنّا يا أبا عصام ، على مثل ما قال النبي الأعظم عليه السلام في ابنه ، وأنت الابن البار لهذه الأمة : وإنا على فراقك لمحزونون .

أمّا بعد فيا أيها الأصدقاء الذين أحبوا الفقيد وأحبهم ، فإنّ وجيه السمّان شخصية عزيزة نادرة قيّمة ، رجعت نفسها المطمئنة إلى ربها راضية مرضيّة ، دخلت في عباده ، وأنّ سعيها سوف يرى ، ثم تجزاه الجزاء الأوفى ، وستدخل على ما نضرع إليه تعالى جنته الفسيحة بعد أن خلّفت على هذه الأرض المباركة ذرية طيبة ، وذكراً حميداً تلهج به الألسن ، وتراثاً كبيراً تستنير به العقول وتستنجز منافعه العزمات ، وأمثولة حسنة حريّ بالجيل الصاعد أن يستهدي بمعالمها، ومسلكاً ، متفتحاً دنيوياً، منتشياً روحياً : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك . ولقد ابتغيت الآخرة عن عقيدة وشغف ، وأديت نصيبك من الدنيا ، عملاً صالحاً خصباً تجني ثمراته اليانعة أمة متعطشة للنهضة والمجد ، وأحسنت على خير ما يكون الإحسان وحين عرتك الهموم ونالت منك الأحداث بغُرمها كنت تتمثل بقوله تعالى في خطاب لقمان لابنه : ﴿ يا بنيّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور ﴾ وإنّ المؤمن إيمانك لينظر إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصائب من باب البلواء والامتحان لصلابة إيمانه وصحة صبره ، وجود قلبه .

ولعل هذا الإرث القيّم هو الذي يعزّي أهل الفقيد حرماً وبنات وأبناء وحفدة وأحفاداً ، وأخوات وإخواناً ، وأقرباء وأنسباء عن مصابهم الجسيم . فلهم جميعاً أحرّ العزاء وأصدق المحبة ، وأخلص الدعاء والمشاركة الحميمة المشاركة التي قال فيها شعر الشاعر المحزون :

سألتنيه رثاء خذه من كبدي لا يؤخذ الشيء إلاّ من مصادره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net